الأسلوب وعلاقته بالبلاغه

عیسی متقی زاده*

چکیده

اسلوب شیوه خلق اندیشه وبیان آن در قالب الفاظ مناسب است. در کتاب های علوم بلاغی موضوع اسلوب اهتمام شایسته نشده است هر چند در آثار گروهی از دانشمندان به بعضی از ویژگ های لفظی اسلوب اشاره شده است؛ اما این اطلاعات در بخش های مختلف آثارشان پراکنده اس وبابی به آن اختصاص داده اند اسلوب وبلاغت با هم چه ارتباطی دارند ؟ وفرق بین آن دو چیست؟

شکی نیست که اسلوب وبلاغت هر دو به لفظ ومعنی ومطابقت با مقتضای حال عنایت دارند ام موضوع بلاغت اعم از موضوع اسلوب است . بلاغت برای رسیدن به کلام مطلوب از همه وسیله های معنوی وبیانی وبدیعی بهره می گیرد اما اسلوب شامل وسایل معینی است که نویسنده ای در موضوعی خاص از آن استفاده می کند . به تعبیر دیگر بلاغت علم است قبل از این که فن وشیوه باشد ، اما اسلوب عبارت از بلاغت یک مؤلف است ، شیوه ای خاص که نویسنده برای تحقق بلاغت در اندیشه وتعبیر از آن استفاده می کند .

واژهای کلیدی : اسلوب ، بلاغت ، معانی ، بیان ، تعبیر

الأسلوب لغةً واصطلاحاً

الأسلوب لغةً :

الأسلوب : الطريق ، وعنق الأسد والشموخ فى الأنف[١].

جاء فى لسان العرب : الأسلوب يقال للشطر من النخيل ، وكل طريق ممتد فهو أسلوبٌ ، و «الاسلوب» الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: أنتم فى أسلوب سوء و ... «الأسلوب» الفنّ، يقال: أخذ فلان فى أساليب القول، أى فى أفانين من القول[٢].

وقد جاء فى تاج العروس: الأسلوب، بالضم: الفنّ، يقال: أخذ فلان فى أساليب من القول، أى أفانين منه، (و) الأسلوب: (عُنُق الأسد)، لأنَّها لا تُثْنَى.

ومن المجاز: الاسلوب: (الشُمُوخُ فى الأنف). وإنَّ أنفه لفى أسلوب، إذا كان متكبراً لا يلتفت يَمْنَةً ولا يَسْرَةً.

قال الأعشى:

ألم تَرَوْا لِلْعَجَب العجيبِ

أنَّ بنى قَلاَّبَةِ القُلُوبِ

أنوفُهُم مِلْفَخْرِ فى أسلوبِ

وشَعَرُ الأستاهِ بالجَبُوب

يقول: يتكبّرون وهم أخسّاء.

كما يقال: أنفٌ فى السماء وأسْتٌ فى الماء[٣].

الأسلوب اصطلاحاً :

الأسلوب ظاهرة تلازم تحقق العملية اللغوية، المحكية منها، أو المكتوبة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

يقول ابن خلدون: «الأسلوب هو عبارة عن المنوال الذى تنسج فيه التراكيب، أو القالب الّذى تفرغ وهو يرجع إلى الصورة التى ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب، وأشخاصها، وهى الصورة الصحيحة با ملكة اللسان العربىّ.

ثم يضيف أن هذا المنوال أو القالب، بعد أن ينتزع صورته الصحيحة نحواً وإعراباً وبياناً، هو يتسع بالحد الوافى بمقصود الكلام... فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به، وتوجد فيه، على أنحاء مختلفة»[۴].

وفى اصطلاح البلاغيين: هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى قصد الإيضاح والتأ أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعانى، فأسلوب القرآن: هو طريقته التى انفرد بها فى تأليف كلا واختيار ألفاظه[۵].

يقول الأستاذ الزيات:

إنّ الأسلوب هو «طريقة خلق الفكرة... وإبرازها فى الصورة اللفظية المناسبة»[۶].

أمّا الأستاذ الشايب فيحدّده بأنه «طريقة التفكير والتصوير والتعبير»[۷].

وهكذا نرى أنّ الأسلوب فى نظر المعاصرين يشمل الناحيتين المعنوية واللفظية جميعاً ولا بدّ أن نشير إلى أنّ الأسلوب هو الإنسان والمؤلف والموضوع. ويتضح لنا ذلك عندما نحلّل مفهوم تلك الطريقة المعينة فى التفكير والتعبير. إن عملية التعبين عملية أسلوبية يقوم بها المؤلف، فيختار الخطة ويرتب الأفكار وينتقى الألفاظ ويركّبها فى الجمل، بحيث تكون منسقة متلائمةً، تحقق قصده فى التأثير والإقناع، حين تعبّر عن وجهة نظره الشخصية إلى الأمور والأحداث، وتعكس بالتالى صورة شخصيته الفكرية والإنسانية والأدبية.

و أخيراً نقول إن الأسلوب هو طريقة معينة فى التفكير والتعبير بحسب ما يقتضيه الوضع والحال، حال الكاتب وحال الموضوع وحال المخاطب.

البيان لغةً واصطلاحاً

جاء فى القاموس المحيط: «البيان: الإفصاح مع ذكاء»[٨].

وقد جاء فى لسان العرب: البيان: ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بياناً: اتَّضح، فهو بَيِّنٌ، والجمع أبْيِناء، مثل هيِّنٌ وأهيناء، وكذلك أبان الشيءُ فهو مبينٌ.

البيان لغةً: الظهور والوضوح، نقول: بأن الشيء يبين، إذا ظهر واتَّضَح... والبيان ما بُيِّن الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بياناً: اتّضح فهو بيِّنٌ. والجمع أبيناء. أبنته أنا، أى أوضحته. واستبان الشيء: ظهر، واستنبتُه أنا: عرفته. وتبيّن الشيء: ظَهَرَ والتبيين: الإيضاح: هو أيضاً الوضوح.

ومعانى البيان: الفصاحة واللسن. وكلام بيِّنٌ: فصيح. والبيان: الإفصاح مع ذكاء. والبيِّن من الرجال، الفصيح. وقال ابن شميل: البيِّن من الرجال: السَمْح اللسان، الفصيح الظريف، العالى الكلام، القليل الرتج.

وفلان أبين من فلان أى أفصح منه وأوضح كلاماً. ورجلٌ بيِّن فصيح[٩].

ورُوِى عن ابن عباس عن النبى (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إنَّ من البيان لسحراً وإنَّ من الشعر لحكماً»[١٠]. قال: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم، وذكاء القلب مع اللَّسَن، وأصله الكشف والظهور. وقيل: معناه أن الرجل يكون عليه الحق، وهو أقوم بحجته من خصمه، فيقلب الحقَّ ببيانه إلى نفسه، لأن معنى السحر، قلب الشيء فى عين الإنسان، وليس بقلب الأعيان. وقيل: «معناه إنه يبلغ من بيان ذى الفصاحة أنه يمدح الإنسان فيصدَّق فيه. حتى يصرف القلوب إلى قوله وبغضه، فكأنه سحر السامعين بذلك. وهو وجه قوله: «إنَّ من البيان لسحراً»[١١].

فالبيان هنا: البلاغة، والقدرة على التعبير، والإقناع والتأثير[١٢].

وقال الزجاج فی قوله تعالی: (خَلَقَ الإنسان * عَلَّمه البَیان)[۱۳] قیل إنّه عنی بالإنسان ههنا النبی (ص الله علیه وآله)علَّمه البیان، أی علَّمه القرآن الذی فیه بیان کل شیء. وقیل: الإنسان هنا آدم (علیه السلا ویجوز فی اللغة أن یکون الإنسان اسماً لجنس الناس جمیعاً. ویکون علی هذا علَّمه البیان: جعله ممیز حتی انفصل الإنسان ببیانه وتمییزه من جمیع الحیوان[۱۴].

کلمة البیان تدلّ علی ما تدل علیه کلمة البلاغة. أی أن الفنون البلاغة جمیعاً، کانت تسمی عند البلاغیین فنون «البیان»[۱۵] وذلک عائد إلی معنی البیان لدیهم وهو «المنطق الفصیح المعرب عمّا فی الضمیر» وهو یطبق علی علوم البلاغة الثلاثة: المعانی والبیان والبدیع[۱۶].

حدد البیان، عند علماء البلاغة بتعریفات عدة، إلا أنها وإن اختلفت تعابیر بعضها عن البعض الآخر لفظاً، إلا أنها تکاد تتفق فی المعنی.

فالبیان حسب هذه التعریفات: «علم یعرف به إیراد المعنی الواحد بطرق مختلفة فی وضوح الدلالة» أو هو «علم یعرف به إیراد المعنی الواحد بطرق مختلفة بالزیادة فی وضوح الدلالة علیه وبالنقصان، لیحترز بالوقوف علی ذلک، عن الخطأ فی مطابقة الکلام لتمام المراد[۱۷].

أو هو «علم یستطاع بمعرفته إبراز المعنی الواحد فی صور مختلفة وتراکیب متفاوتة فی وضوح الدلالة مع مطابقة کل منها لمقتضی الحال»[۱۸].

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الأسلوب ومعانیه المختلفة

وأخذت کلمة الأسلوب تتجه لتصبح دلالة علی منحی محدَّد فی هذا النشاط أو ذاک، یحمل قواعد وخصائص تُمیِّزه من غیره من وجوه النشاط وطبیعته.

إنّ كلمة الأسلوب أخذت تحمل معها فى تاريخ لغتها والشعوب التى تنتمى إليها اللغات معان أخرى وإيحاءات جديدة من خلال الممارسة وتطور الحياة ومشكلاتها.

من خلال هذا النمو والتطور أصبحت كلمة أسلوب مصطلحاً خاصاً له تعريفه ودلالته، متصلاً بالأصل أو منفصلاً عنه حسب اللغة وتاريخ مسيرتها.

«ومن أهم الميادين التى أصبحت فيها هذه الكلمة مصطلحاً جديداً كان ميدان الأدب وأفنانه وأجناسه وفروعه ومذاهبه. وأصبحت كلمة «الأسلوب» مصطلحاً أدبياً أو نقدياً أو لغوياً، على اختلاف المذاهب والآراء. وأخذ هذا المصطلح يحمل تعريفات مختلفة متضاربة أحياناً، ذلک كله فى ميدان الأدب الغربى. وكانت هذه التعريفات نابعة من مجموع التصورات الفلسفية والفكرية السائدة لدى الشعوب الغربية، ومن جذورها العميقة فى تاريخهم، الجذور الممتدة إلى اليونان والرومان ووثنيّتهم»[١٩].

وفى الوقت نفسه كان المسلمون يمتدون فى الأرض يحملون رسالة اللّه إلى الناس كافة ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً، دين جميع الرسل والأنبياء الذين خُتِموا بمحمد (صلى الله عليه وآله) وبالقرآن الكريم الذى جاء وحياً من عند اللّه مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، جاءت رسالة محمد (صلى الله عليه وآله) الرسالة الخاتمة، تحمل النور والهدى للبشرية كلها، منهاجاً ربّانياً متكاملاً متناسقاً ينظم حياة الإنسان فى جميع ميادين الحياة الدنيا، على نهج وصراط مستقيم ممتد إلى الدار الآخرة»[٢٠].

ومن خلال هذا الدين العظيم انطلقت مواهب المسلمين فى ميادين شتى من العلوم والدراسات. وكان الأدب واللغة من بين ذلک. وكان الأسلوب ينمو تصوره وخصائصه ودراساته كذلک، على نحو مختلف عما سار عليه الغرب.

الأسلوب فی اللغات الأوروبیة المعروفة

لقد اشتقت کلمة «أسلوب» فی اللغات الأوروبیة المعروفة من الأصل اللاتینی Stilus وهو یعنی «ریشة» ثم انتقل عن طریق المجاز إلی مفهومات تتعلق کُلّها بطریقة الکتابة؛ فارتبط أولاً بطریقة الکتابة الیدویة، دالاً علی المخطوطات، ثم أخذ یطلق علی التعبیرات اللغویة الأدبیة؛ فاستخدم فی العصر الرومانی ـ فی أیام خطیبهم الشهیر «شیشرون» ـ کاستعارة تشیر إلی صفات اللغة المستعملة؛ لا من قبل الشعراء، بل من قبل الخطباء والبلغاء، وقد ظلت هذه الطبیعة عالقة إلی حد ما بکلمة Style حتی الآن فی هذه اللغات؛ إذ تنصرف أولاً إلی الخواص البلاغیة المتعلقة بالکلام المنطوق. ولما کانت الأعمال الأدبیة تختلف أساساً عن الخطابة واللغة المنطوقة فإن تعلق مفهوم الأسلوب بما یشیر إلی بعض الخواص الکلامیة فیها. ویری بعض الباحثین أن اشتقاق الکلمة من أصل لاتینی ـ لا اغریقی ـ کما هی الحال فی معظم المصطلحات البلاغیة الأخری له أهمیة خاصة، فأرسطو مثلاً یستخدم Lexis أی لغة أو کلمة مقابل Taxis أی نظام التی تترجم عادة بقول أو أسلوب، لکن کلمة Stylos تعنی فی اللغة الإغریقیة «عموداً»، ومن هنا جاءت تسمیة زاهد متصوف مثل «سیمیون» «الأستیلیتا» إذ کان یعیش علی عمود قدیم تقشفاً وزهداً. أما شکل کلمة style فی اللغة الانجلیزیة، بدلاً مما کان ینبغی أن تکتب به stil فمبنی علی أساس توهم الأصل الإغریقی، لا مطابقة الأصل اللاتینی الحقیقی کما یقول قاموس «أوکسفورد»[۲۱].

وهناک تعاریف متنوعة فی مشاربها. مختلفة فی اتجاهات أصحابها فی تمثل الأسلوب. ویمکن من وجهة نظر ألسنیة، عرضٌ أبرزها فیما یلی:

۱ ـ من زاویة المتکلم، أی ـ الباث ـ للخطاب اللغوی، الأسلوب هو الکاشف عن فکر صاحبه ونفسیته، یقول أفلاطون: کما تکون طبائع الشخص یکون أسلوبُه، ویقول بوفون: الأسلوب هو الإنسان نفسه. ویقول

جوته: الأسلوب هو مبدأ التركيب النشط، والرفيع، الذى يتمكن به الكاتب النفاد إلى الشكل الداخلى للغته والكشف عنه[٢٢].

٢ ـ من زاوية المخاطَب، أى ـ المتلقى ـ للخطاب اللغوى (الأسلوب، ضغط مسلط على المخاطبين، وأنّ التأثير الناجم عنه يعبر إلى الإقناع أو الإمتاع، ويقول «فاليرى» وأيضاً جيد أن «الأسلوب» هو سلطان العبارة. ويقول «ستاندال» «الأسلوب» هو أن تضيف إلى فكر معين جميع الملابسات الكفيلة بإحداث التأثير الذى ينبغى لهذا الفكر أن يحدثه، ويقول «ريفاتير» الأسلوب هو البروز الذى تفرضه بعض لحظات تعاقب الجمل على انتباه القارئ، فاللغة تعبر والأسلوب يبرز.

٣ ـ ومن زاوية الخطاب، أو لنقل النص نفسه، «الأسلوب» هو الطاقة التعبيرية الناجمة عن الاختيارات اللغوية ... وقد حصر «شارل بالى» مدلول الأسلوب فى تفجّر طاقات التعبير الكامنة فى اللغة، ويعرّف «ماروزو» الأسلوب بأنه: اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حالة الحياد اللغوى إلى خطاب متميز بنفسه. ويعرفه «بييرو غيرو» بأنه: مظهر القول الناجم عن اختيار وسائل التعبير التى تحددها طبيعة الشخص المتكلم، أو الكاتب، ومقاصده[٢٣].

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الأسلوب وعلاقته بالبلاغة

عندما نتكلم عن أسلوب كاتب ما، سرعان ما يتبادر إلى أذهان الناس العنصر اللفظى والطريقة اللغوية فى الكتابة. فلماذا طغت هذه الناحية اللفظية على الناحية المعنوية فى مفهوم الأسلوب؟ وهل هناك ما يبرر هذه الظاهرة؟

لقد حاول الأستاذ أحمد حسن الزيات أن يُفسِّر هذا الموضوع. فقال: إنّ كتب البلاغة العربية لم تُعْنَ

بالأسلوب من حيث إنّه فكرة وصورة معاً. بل انحصرت عنايتها بالجمل وما يعرضُ لها فى علم الـ وبالصور وأنواعها فى علم البيان[۲۴]. نعم لقد ذكر أبو هلال العسكرى وعبدالقاهر الجرجانى وابن بعض خصائص الأسلوب الفنية وصفاته اللفظية. إنما هذه المعلومات كانت شائعةً مبعثرة فى كتبهـ يعقدوا لها أبواباً، ولم يحدّدوها فى فصول، بل صرفوا جل اهتمامهم إلى الألفاظ وأعطوها المكانة الـ فى البلاغة، وأغرقوا فى علم المعانى المأثور والبيان والبديع. فنرى مثلاً ابن المعتز يطلق على ما كتبه البلاغة اسم «البديع»[۲۵].

ويأتى بعده أبو هلال العسكرى ويصرح بجرأة كبيرة فيقول: «وليس الشأن فى إيراد المعانى، لأن المعـ يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى. وإنما هو فى جودة اللفظ وصفائه وبهائه... مع صحة السبـ والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف. وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً... ومن الدليل عـ أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ، أن الخطب الرائعة والأشعار الرائقة، ما عُمِلت لإفهام المعانى فقط. لا الردىء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها فى الإفهام... وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دو المعانى... ولهذا تأنق الكاتب فى الرسالة والخطيب فى الخطبة والشاعر فى القصيدة.. ولو كان الأمر فم المعانى، لطرحوا أكثر ذلك، فربحوا كدّاً كثيراً، وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلاً»[۲۶]

هكذا فصل أبو هلال العسكرى بين اللفظ والمعنى فى البلاغة وآثر اللفظ على المعنى بدرجات. فإن اللفظ يمثّل دوراً مهماً فى تأدية المعنى، ومن شأنه أن يُجَمّل فكرة مبتذلة ويقبّح آراء سامية، إذ «إنّ الكلام إذا كان لفظه غثّاً، وموضوعه رثّاً، كان مردوداً، ولو احتوى على أجمل معنى وأنبله وأرفعه وأفضله»[۲۷]. والبلاغيون الذين جاؤوا بعده، صنّفوا فى علم البيان وأساليبه وازدهر البيان، فى حين أن علم المعانى بقى على ما هو. فحسبوا «أنّ الأسلوب سردُ الألفاظ لا تُسفر عن معنى، وحشد أسجاع لا تؤدى إلى غرض»

[٢٨]. وقد يكون فى طبيعة اللغة العربية ما حدا بهم إلى هذا الاتجاه، فإنها اكتسبت من مدينة أهلها رقة اللفظ وأناقة العبارة، كما اكتسبت من شاعريتهم جمال الصورة وروعة الأخيلة، بحيث إنّها أغنت الكُتّاب بموسيقاها وحلاها، عن كدّ القريحة فى ابتكار المعانى واستنباط الأفكار»[٢٩].

عندما جاء عبدالقاهر الجرجانى وفّى حق علم المعانى ونظمها، فقد ربط بين نظم الألفاظ ونظم المعانى: «إنّک تقتفى فى نظمها (أى الألفاظ) آثار المعانى، وترتّبها على حسب المعانى فى النفس»[٣٠] ذلک لأن الغرض من نظم الكلم، أن تتناسق دلالتها وتتلاقى معانيها على الوجه الذى يقتضيه العقل»[٣١]. فيجب إذن ترتيب المعانى فى النفس ثم التعبير عنها بالألفاظ، وإذا ما تمّ ذلک، ترتّبت أيضاً الألفاظ بصورة طبيعية، إذ أنّها خدمٌ للمعانى وتابعة لها ولاحقة بها»[٣٢].

فميزة الكلام إذاً فى حيز المعانى دون الألفاظ، «وانّها ليست لک حيث تسمع بأذنک، بل حيث تنظر بقلبک وتستعين بفكرک وتعمل رويّتک وتراجع عقلک وتستنجد بالجملة فهمک»[٣٣]. وإعمال الفكر فى نظم المعانى وترتيبها، صنعة يختلف البلغاء فى إتقانها ويتفاضلون فى مراتبها، إذ أن لكل واحد منهم طريقته الخاصة فى ربط المعانى وترتيبها، فضلاً عن أن مدار الحكم فى حُسنها وقُبحها يرجع إلى ترتيب المعانى وتلاؤمها وانسجامها»[٣٤]. لا شک أنّ الأقوال تتفاضل، وحظوظها من الاستحسان تتباين، لكن الفضل «ليس بمجرد اللفظ، لأن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب»[٣٥]. ذلک لأن الألفاظ ليست مقوّماً لذاتها، إنّما مقوّمها المعنى الذى كانت له هذه الكلم. وهذا المعنى هو «ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة». وأما الأختصاص فى الترتيب، فـ «يقع فى الألفاظ، مرتّباً على المعانى المرتبة فى النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل... وعلى ذلک وضعت المراتب والمنازل فى الجمل المركّبة وأقسام الكلام

المدوّنة»[۳۶] وحينئذ «إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً، ثم يجعل الثناء من حيث اللفظ، فيقول: حلوٌ رشيق، وحسن أنيق... فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجرا الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوى، بل إلى أمر يقع من المرء فى فؤاده، وفضل يقتدحه العا فى زناده» [۳۷].

نستنتج مما سبق أنّ الأسلوب طريقة معينة وفكرة وعبارة.

موازنة بين الأسلوب والبلاغة

إذن ، ما العلاقة بين البلاغة والأسلوب وما الفرق بينهما ؟

البلاغة هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث «يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»[۳۸] إنّ البلاغة تعبير وتأدية عن الفكر والمعنى. على أن تكون تأدية مطابقة لهما، ملائمة للموضوع والمخاطب. فإذا قارنّا هذا التعريف بما قلنا فى تحديد الأسلوب، وجدنا أن الإثنين يُعنيان بالفكر والمعنى من ناحية، وبالعبارة من ناحية أخرى وبمطابقتهما ومناسبتهما لما يقتضيه الحال، من ناحية ثالثة. «غير أن موضوع البلاغة أعمّ من موضوع الأسلوب وأوسع منه. فالبلاغة تشمل كل ما يتعلق بالكلام البليغ، وتبحث كافة الوسائل المعنوية والبيانية والبديعية الموصلة إليه، فى حين أن الأسلوب يتناول فقط الوسائل المعينة التى يستخدمها كاتب معين فى موضوع معين. وبالإضافة إلى ذلك فالبلاغة علم قبل أن تكون فناً. علم لكونها ترشد المتعلم إلى الغاية التى يجب أن يطلبها فى صناعة الكلام، وتعلّمه الطرق المختلفة الجديرة بتحقيق هذه الغاية. فهى تحدّد الغاية وتقدّم لها الوسائل المناسبة. غير أن البلاغة علماً ليست إلا مرحلة ممهدة للبلاغة فنّاً، لكونها تقوم على حسن استعمال هذه الوسائل

وتطبيقها وتكييفها على موضوع معين»[٣٩].

فالبليغ هو من أحسن علم البلاغة، ثم جسده فى كلامه وتأليفه. ففى هذه الحالة لا نجد فرقاً بين البلاغة فنّاً والأسلوب. «إذ أنّ الأسلوب عبارة عن بلاغة مؤلف معين. إنه طريقة خاصة يسلكها صاحبها لتحقيق البلاغة فى تفكيره وتعبيره»[٤٠].

تضع البلاغة إذن المقاييس والأساليب بين يدى المؤلف، ويقوم هو باختيار ما يناسب موضوعه منها، ثم يعمل على تنسيقه وترتيبه. وفى عملية الاختيار والتأليف، يظهر المؤلف أسلوبه ويضفى على نتاجه الأدبى طابع شخصيته. ونحن نستطيع من دراسة أسلوب ما، أن نبيِّن معالم شخصية المؤلف ونزعاته الفكرية والأدبية. وفى هذا العمل النقدى تفيدنا البلاغة إفادة كبيرة.

فالعلاقة بين البلاغة والأسلوب وثيقة جداً، واذا ما أردنا أن نحدِّد عناصر أسلوب معين، فالمعين الأول فى ذلك هو البلاغة، لا البلاغة التقليدية التى تنحصر موضوعاتها فى علم المعانى والبيان والبديع. بل البلاغة التى تكون «مطابقة الكلام لمقتضى الحال».

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

مزايا الأسلوب وأنواعه

لقد ذهب «أرسطاليس» فى كتابه «الخطابة» إلى أنّ «الوضوح» من أهم مزايا الأسلوب، لأن الكلام إذا لم يكن واضحاً، لم يؤدِّ وظيفته اللغوية، ومن الضرورى أن يظل بالتالى مناسباً للموضوع الذى ينقله .. وعلى ذلك، إذا وضعت الكلمة الأنيقة على لسان عبد، أو صبى، أو فى موضوعات تافهة لا تكون مناسبة [٤١] ؛ وذلك فى نظر أرسطاليس هو ما يميز الشعر عن النثر، فيمايز بينهما، إذ أنّ الشعر يتحمل الغرابة فى القول، والخروج عن المألوف، لأن موضوعاته، وأيضاً أشخاصه، هى عادة خارجة عن المألوف.

والغربیون منذ الیونان إلی الیوم یمیزون عادة بین ثلاثة أنواع من الأسالیب؛ وهی:

۱ـ الأسلوب البسیط أو السهل، ۲ـ الأسلوب المعتدل أو الوسیط، ۳ـ الأسلوب الجذل أو السامی ... و التقسیم الذی یربط هذه الأسالیب بالموضوعات التی یعالجها الخطاب اللغوی وخاصة الخطاب الأدبی.

ولذلک هم یقولون فی الأسلوب الأول، البسیط أو السهل، إنّه یصلح للرسائل والحوار، وفی الثانی المعتد أو الوسیط إنّه یصلح للتاریخ والملهاة، فی حین أن الأسلوب الثالث، الجذل أو السامی یصلح للمأساة إلاّ أن هذا الرأی خلافی، بدلیل أن الأنواع الأدبیة الحدیثة کالروایة، والمسرحیة الاجتماعیة تستهلک عد أسالیب تظل فیها ناجحة.

العوامل الرئیسة التی یُبنی علیها الأسلوب بتفاعله مع غیره

هناک ثلاثة عوامل یُبْنی علیها الأسلوب ویقوم بها ویخرج منها، وهی اللغة والإنسان والبیئة. وتجتمع هذه العوامل فی الفطرة التی فطر اللّه الناس علیها، وتتعامل فیها مع غیرها من العوامل.

«أمّا اللغة فهی مادة الأسلوب فی أی مجموعة من المجموعات الثلاث، وطبیعة اللغة تُؤثر فی بناء الأسلوب. واللغة العربیة هی أغنی لغات الأرض مادة واشتقاقاً، وصیاغة وتعبیراً، وأنداها صوتاً وأکملها مخرجاً، وأحلاها جمعاً وترکیباً، وهذا کلُّه یوفّر ثروة غنیة لبناء الأسالیب. فالألفاظ نفسها تمیّز بین أسلوب وأسلوب من حیث الرقة والعذوبة أو الخشونة والغرابة، ومن حیث دقة الاستخدام وعدالة الموقع. وتظل الألفاظ تؤثر فی وقت واحد بجمیع مقوماتها الأربعة: المعنی، الظلال، الجرس، الربط. واللغة هی التی تحدد وسائل الربط فی وحدات البناء کلها. وتظل قواعد اللغة من نحو وصرف وعلوم البلاغة من بیان ومعان وبدیع، تساهم فی بناء الأسالیب. وتاریخ اللغة یحمل أنماطاً متعددة من الأسالیب، منها ما

يسقط ويتبدّل، ومنها ما يستمرّ وينمو، فيصبح تاريخ اللغة وفقهها. يساهمان كذلك فى بناء الأساليب» (٤٢).

أمّا الإنسان فهو الأديب الذى يقوم بمسؤولية العمل الفنّى، حين تعمل فى تقديمه فطرته ونفسه، وعلمه وثقافته، وذكاؤهُ وقريحته، والفطنة والذوق، والخبرة والمران، والسجية فى هدوء ورويّة، أو حدّة وثورة، وغير ذلک من القوى والقدرات العاملة فى فطرة الأديب. إن هذه كلّها تُسهم إسهاماً فعّالاً فى بناء الأسلوب، حتى فى اختيار الألفاظ، وبناء التعبير، ومجمل الصياغة، وإقامة الأسلوب العام. إنّ هذه كلّها هى التى تُوفّر للأديب القدرة على اختيار هذه الطريقة أو تلک، لجمع العناصر الفنية وجمع آثارها وإقامة التفاعل بينهما. وقد يختلف انتقاء الأسلوب بين أديب وأديب، كما يختلف كذلک عند الأديب الواحد نفسه بين لحظة ولحظة، وبين أرض وأرض وبين أحداث وأحداث. ذلک لأنّ الأديب لا يعمل وهو فى صومعة مغلقة. إن الأديب إنسان، كائن حىّ، متصل بالحياة، متصل بالواقع، متصل بالكون، حتى لو عزلته السجون، وأقعدته السنون، وغلبته الهموم، ومن ناحية أخرى، فإننا نستطيع أن نتصور أن للأديب مجموعتين من الخصائص: مجموعة مستمرة تمثل السجية الممتدة، والطبيعة الثانية والنفسية الغالبة. فأثر هذه المجموعة يمثل نهجاً وخطاً دائماً فى عطاء الأديب. والمجموعة الثانية تمثل خصائص آنية تتأثر بالجوّ المحيط، واللحظة القائمة وما فيها من عوامل مؤثرة متغيرة. فالأديب هادئ مطمئن فى لحظة، راض مستبشر، حتى إنک لتلمس ذلک فى اللفظة المختارة والتعبير المنتقى والأسلوب الجامع، وفى لحظة أخرى قد يغلب عليه الهياج والاضطراب لسبب آخر فتلمس اللفظة الهائجة والأسلوب المضطرب» (٤٣).

«أمّا البيئة فأثرها فى بناء الأسلوب واضح بيّن كذلک. إنّ البيئة بما فيها من تقدم أو تأخر، وطراوة أو يبوسة، ونداوة وجفاف، وعادات وأعراف، وطبيعة أرض وطقس ومجتمع، وخصوبة أو فقر، وحدائق أو

صحراء، هذه كلها تسهم فی بناء الأسلوب كلّه. ابتداء من اللفظة المختارة إلى الجمع الكلى للعناصر ال

لقد كانت البداوة تعطى قاموساً وأسلوباً يختلف عما تهبه الطراوة والحضارة المادية والعلم.

إنّ التأثير الذى تحدثه البيئة ـ موقعاً وأحداثاً وزمناً ـ هو تأثير عميق، ولكنه تأثير يمرّ عبر الإنسان نف عبر الأديب وفطرته. وكما تتأثر اللفظة بالبيئة كذلک تتأثر وجوه البلاغة وأبوابها. فالتشبيه والاست والكناية تخرج كلها من تجارب الأديب فى بيئته. والبيئة تؤثر فى اللغة ذاتها وفى نموها على تار طويل، حتى تستقر على قواعد وأسس. واللغة العربية نمت ونضجت واستقرت وغنيت بثروة عظيمة بيئة امتازت بموقع وسط تمر به شعوب مختلفة، وامتازت كذلک بشتى أشكال الطبيعة ونماذجها صحراء ورمال، إلى وديان وجبال، إلى حدائق غناء، إلى تجارة وتعامل، إلى حروب وقتال، إلى سيا وهدنة»[۴۴].

فهذه العوامل الثلاث تعمل معاً بطريقة خاصة وتتفاعل فيما بينها على نحو خاص، ومع عوامل أخرى ف فطرة الإنسان لتجتمع نتيجة ذلک فى العمل الفنى فى عناصره كلها وفى الأسلوب بصورة خاصة.

الأسلوب عنصر هام فى كثير من المواقف. ولقد رأينا أنّ اللّه سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون (عليه السلام) أن يتبعا أسلوباً محدداً مع فرعون لعلّه يتذكر أو يخشى:

(إذهبا إلى فرعون إنّه طغى فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى)[۴۵].

فَحَدَّد اللّه سبحانه وتعالى هنا الأسلوب، أسلوب اللين. وحدَّد كذلک الغاية والهدف فَلَعَلَّ هذا اللين يفتح قلبه أو يحرّک فطرته، فيتذكر ما أودع اللّه فيه من إيمان، ويخشى عند ذلک عذاب اللّه، فيؤمن. فالهدف هو تهيئة عاملين من عوامل الإيمان: التذكر والخشية.

وكذلک أمر اللّه سبحانه وتعالى عباده أن يتبعوا أسلوباً معيّناً فى مخاطبة الوالدين، ليكون الأسلوب لائقاً

بحقهما من الأدب والبر:

(وقَضَى ربُّک ألا تعبدوا إلاَّ إياه و بالوالدين إحساناً إمَّا يَبْلُغنَّ عندک الكِبَر أحدُهما أو كلاهما فلا تَقُلْ لهما أفٍّ ولا تَنْهَرْهما و قُلْ لهما قولاً كريماً و اخفِض لهما جناح الذُّلِّ من الرَّحمة وقل ربِّ ارْحَمْهُما كما ربياني صغيراً)[٣۶].

إنه أسلوب البرّ والرحمة، والأدب والتقوى. لقد حدّد اللّه سبحانه وتعالى الأسلوب وحدّد الغاية والهدف. فالغاية هنا طاعة اللّه وبرّ الوالدين. أسلوب عظيم وهدف عظيم. فنرى من ذلک كيف أنّ الأسلوب يحمل أكثر من هدف واحد، فلا يكون هدفه الإقناع فحسب.

ويمكن أن نذكر أسلوب رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فى توجيه الخير وتغذية الإحسان وخطبته فى الأنصار بعد توزيع الغنائم مثل كريم على ذلک:

ففى السيرة النبوية لابن هشام[٣٧]: «فأتاهم رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)، فحمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار! ما قالةٌ بلغتنى عنكم، وجدةٌ وجدتموها علىّ فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم اللّه، وعالةً فأغناكم اللّه، وأعداءً فألّف اللّه بين قلوبكم!» قالوا: بلى، اللّه ورسوله أمنّ وأفضل. ثم قال: «ألا تُجيبوننى يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نُجيبک يا رسولَ اللّه؟ للّه ولرسوله المنُّ والفضل. قال (صلى الله عليه وآله) : أما واللّه لو شئتم لقلتم، فَلَصَدقتم ولصُدِّقتم: أتيتنا مُكَذَّباً فصدقناک، ومخذولاً فنصرناک، وطريداً فآويناک، وعائلاً فآسيناک. أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا فألّفتُ بها قوماً ليُسْلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول اللّه إلى رحالكم؟ فوالذى نفس محمّد بيده، لولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار. ولو سلک الناس شعباً وسَلَكت الأنصارُ شِعباً، لسلكت شِعب الأنصار. اللّهم ارحم الأنصار، وأبناء

الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظّاً. ثم انصرف رسول الله عليه وآله) ، وتفرقوا»[۴۸].

فالأسلوب إذن عنصر هام. غايته الأساسية هى إبراز الموضوع المطروح والقضية المطروقة على نح على بلوغ الأهداف سواءً الثابتة منها أو المرحلية.

ميزات الأسلوب القرآنى

لقد تواضع العلماء قديماً وحديثاً على أن للقرآن أسلوباً خاصاً به مغايراً لأساليب العرب فى والخطابة والتأليف.

وكان العرب الفصحاء يدركون هذا التمايز فى الأسلوب القرآنى عن غيره من الأساليب. ولقد أبرز ميزات للأسلوب القرآنى اختص بها ومن بين سائر الكلام. فمن هذه الميزات:

أولاً ـ المرونة والمطاوعة :

«نجد فى الأسلوب القرآنى مرونة فى التأويل ومطاوعة على التقليب بحيث لا يدانيه أسلوب الأساليب، وهذه المرونة فى التأويل لا تحتمل الآراء المتصادمة أو المتناقضة وإنما مرونة تجعله و الدلالة، سعة المورد الذى تزدحم عليه الوفود ثم تصدر عنه وهى ريّانة راضية»[۴۹].

فالأسلوب القرآنى يشفى قلوب العامة ويكفى الخاصة. فظاهره القريب يهدى الجماهير وسواد الناس وي فراغ نفوسهم بالترغيب والترهيب والجمال الأخّاذ فى تعابيره ومشاهده. وباطنه العميق يشبع نهم الفلاس

إلى مزيد من الحكمة والفكر، يحل العقد الكبرى عندهم من مبدأ الكون ومنتهاه ونظامه ودقة صنعه وإبداعه»[٥٠].

وهذه المرونة من أسباب خلود القرآن فإن الأساليب العربية طوال أربعة عشر قرناً قد عراها كثير من التغيير والتلوين اللفظى والذهنى، ومع ذلک فإن القرآن بقى خالداً بأسلوبه المتميز وبخصائصه الفريدة يتجدد مع العصور وظل رائع الأثر على ترامى الأجيال إلى هذه الأيام وإلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها»[٥١].

إنّ الأسلوب القرآنى لم يستغلق فهمه على العرب الذين نزل القرآن بين ظهرانَيْهم ولم يكن لهم إلاّ الفطرة السليمة الذّواقة للجمال. وفهمه وتفاعل معه من جاء بعد ذلک من أهل العلوم والأفكار، وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل. وقد أثبتت العلوم الحديثة المتطوّرة كثيراً من حقائقه التى كانت مخفيّة عن السابقين، وفى علم اللّه ما يكون من بعد»[٥٢].

والمعهود من كلام الناس لا يحتمل كل ذلک ولا بعضه بل كلما كان نصاً فى معناه كان أدنى إلى البلاغة. وكيفما قلبته رأيته وجهاً واحداً وصفةً واحدة لأن الفصاحة لا تكون فى الكلام إلا إبانة، وهذه لا تفصح إلاّ بالمعنى المتعين، وهذا المعنى محصور فى غرضه الباعث عليه.

لقد فهم علماء السلف الآيات الكريمة التالية غير ما فهمه العلماء المتأخرون بعد تطور العلوم الطبية والفلكية.

(أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوّى بنانه)[٥٣].(والأرض بعد ذلک دحها) [٥٤].

ثانیاً ـ الطريقة التصويرية فى التعبير :

من السمات البارزة للأسلوب القرآنى هو اعتماده الطريقة التصويرية للتعبير عن المعانى والأفكار إفصاحها، سواءً كان معانى ذهنية مجددة أو قصصاً غابرة، أو مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالا فلنتأمل فى الأسلوب القرآنى وهو يصوِّر لنا معنى النفور الشديد من دعوة الإيمان فى صورة غريبة: (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فرَّت من قسورة)[٥٥].

انظر إلى جمال البيان وانفعال السخرية، السخرية من هؤلاء الذين ينفرون كما تفر حمر الوحش من لا لشىء إلا أنهم يُدْعون إلى الإيمان. فالتعبير هنا يحرك مشاعر القارئ وتنفعل مع الصورة التى نقلت وهناك تعبير تصويرى فى عجز الآلهة المزعومة التى يعبدها المشركون من دون اللّه.

فلننظر إلى هذا التعبير الجميل:

(إنّ الذين تدعون من دون اللّه لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له. وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه ضعف الطالب والمطلوب).

إنّه الضعف التام الذى يُثير فى النفس السخرية اللاذعة والاحتقار المهين. إنّ هؤلاء، الآلهة (لن يخلقوا ذ ولو اجتمعوا له).

والذباب حقير صغير ولكن الإعجاز فى خلقه هو الإعجاز فى خلق الجمل والفيل، إنها معجزة الحي يستوى فيها الجسيم والهزيل.

انظر إلى هذا التعبير:

يريد أن يبين أن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند اللّه.

(إنّ الّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماء ولا يدخلون الجنة. حتى يلج الجمل فى سمِّ الخياط)[٥٦].

«ويدعک ترسم بخيالک صورة لتفتح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ فى سمّ الخياط، ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم «الجمل» خاصة فى هذا المقام، ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالصورتين ما شاء له التأثر، ليستقر فى النهاية معنى القبول ومعنى الاستحالة، فى أعماق النفس، وقد وردا إليها من طريق العين والحس ـ تخييلا ـ وعبرا إليها من منافذ شتى فى هينة وتؤدة، لا من منفد الذهن وحده، فى سرعة الذهن التجريدية»[٥٧].

وصورة أخرى عن حالة تزعزع العقيدة.

(ومن الناس من يعبد اللّه على حرف. فإن أصابه خيرٌ اطمأن به. وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه. خسر الدنيا والآخرة)[٥٨].

«إنّ الخيال ليكاد يجسم هذا الحرف الذى يعبد اللّه عليه هذا البعض من النّاس وإنه ليكاد يتخيل الاضطراب الحسى فى وقفتهم، وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع، لأنها تنطبع فى الحس، وتتصل منه بالنفس»[٥٩].

وتعبير آخر عن انتهاء الكون ثم محاسبة الناس على أعمالهم ودخول المحسنين الجنة والمسيئين النّار، ولذة أهل النعيم والترحيب بهم وشقاء أهل العذاب وتبكيتهم.

الأسلوب القرآنى يوضح لنا هذه الحقائق فى إطار جميل حافل بالحركة والتصوير.

قال اللّه تبارک وتعالى:

(وما قدروا اللّه حقّ قدره والأرضُ جميعاً قبضته يوم القيامة. والسموات مطويات بيمينه. سبحانه وتعالى

عمّا یشرکون. ونُفخ فی الصور فصعق من فی السموات ومن فی الأرض إلا من شاء اللّه ثُمَّ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ. ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذَا قَالُوا بَلَى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي صَ وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[۶۰].

إنّ أی محاولة لتصور اللفظ منفصلاً عن المعنی، أو المعنی منفصلاً عن الأسلوب هی محاولة خاطئة من البدء، وقد تقتضینا ضرورات البحث العلمی أن نتحدث عن الأمور فی هذه الصورة المجزأة المنفصلة الأجزاء. أما فی عالم الواقع فلا یمکن أن یوجد هذا التجزؤ ولا ذلک الانفصال.

ولتوضیح الأمر نضرب مثالاً من وجه الإنسان.

إن کل وجه بشری مکون من عینین وشفتین وأنف وأذنین.. الخ. فإذا کان هذا «الموضوع» بالنسبة للوجه، فإن «الأسلوب» هو اجتماع هذه الأعضاء علی نحو معین من التناسق یعطیها «شکلاً» معیناً ذا ملامح محددة. فهل یمکن فی أیة لحظة أن نتصور وجه فلان من الناس علی أنه مجرد عینین وشفتین وأنف وأذنین... الخ، أم نتصوره دائماً علی أنه تلک «الملامح» الناشئة من اجتماع هذه الأعضاء علی النحو المعین، حتی وإن تحدثنا أحیاناً عن صفات خاصة بکل عضو من الأعضاء»[۶۱].

وكذلک الأمر فى التعبير بالألفاظ. المعانى المجردة ـ أى المعانى الذهنية لكل لفظ بمفرده أو لمجموع العبارة ـ هى الأعضاء أو العناصر التى يتكون منها من الموضوع. ولكنها ـ مجردة ـ ليست هى التى تعطينا المعنى المقصود فى الحقيقة، أو ليست هى التى تعطينا «التأثير» الحقيقى. إنما الذى يعطى المعنى الحقيقى أو «التأثير» هو اجتماع هذه المعانى على نحو معين من التناسق يعطيها ملامح محددة.

وإذا كان الأمر كذلک بصفة عامة فهو كذلک فى القرآن بصورة أدق»[٦٢].

إنّ القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية، أنزله سبحانه وتعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله) ليهدى به الناس للحق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويُسْعِدهم بالعقيدة الصافية والشريعة التامة، والخُلُق الكريم. وكان من حكمة اللّه تعالى أن خاطب الناس على قدر مداركهم، وبالوسائل التى تحرّک مشاعرهم وتجذبهم إلى الخير والرشاد، ولذا تَنَوَّعت أساليب الخطاب فى القرآن الكريم، وقد أفحم القرآن الكريم العربَ المتكلمين بها وفحولها بقوّة أسلوبها وروعة بيانه.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الهوامش

۱. الفیروزآبادی، مجدالدین محمد بن یعقوب: القاموس المحیط، مؤسسة الرسالة، بیروت ـ لبنان، ط ۶، ۱۴۱۹هـ / ۱۹۹۸م، مادة سلب.

۲. ابن منظور: لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم ـ إیران، ۱۴۰۵هـ، مادة سلب.

۳. الزبیدی، محمد مرتضی الحسینی: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقیق: عبدالکریم الغرباوی، دار الهدیة للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت، ۱۳۸۶هـ / ۱۹۶۷م، المجلد الثالث، مادة سلب.

۴. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، طبعة مصر، ۱۳۲۷هـ، ص ۶۶۶ وما بعدها.

۵. الزرقانی: مناهل العرفان، ط مصطفی الحلبی، القاهرة، المجلد الثانی، ص ۱۹۹.

۶. الزیات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة، القاهرة، لا.ت، ص ۶۲.

۷. الشایب، أحمد: الأسلوب، دراسة بلاغیة تحلیلیة لأصول الأسالیب العربیة، مکتبة النهضة المصریة، مصر، ۱۹۴۵م، ص ۴۶.

۸. الفیروزآبادی، مجدالدین محمد بن یعقوب: القاموس المحیط، مادة بین.

۹. ابن المنظور، العلامة أبوالفضل جمال الدین: لسان العرب، المجلد الثالث عشر، مادة بین.

۱۰. المجلسی: بحار الأنوار، دار إحیاء التراث العربی، ط ۳، بیروت ـ لبنان، ۱۴۰۳هـ / ۱۹۸۳م، ج ۷۹، ص ۲۹۰.

۱۱. المصدر السابق، مادة بین.

۱۲. غازی یموت: علم أسالیب البیان، دار الفکر اللبنانی، د.ت، ص ۷۸.

١٣. الرّحمن : ٣ ـ ٤ .

١٤. ابن المنظور: لسان العرب، مادة بين.

١٥. بدوى طبانة: علم البيان، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٤ و ١٥.

١٦. غازى يموت: علم أساليب البيان، دار الإصالة، ص ٧٨.

١٧. السكاكى: مفتاح العلوم، مصر، ١٩٣٧م، ص ٧٧.

١٨. المراغى، أحمد مصطفى: علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، لبنان، لا.ت، ص ١٨٩.

١٩. النحوى، عدنان على رضا: الأسلوب والأسلوبية، دار النحوى للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٧٢.

٢٠. المرجع السابق، ص ٧٢.

٢١. فضل، صلاح: علم الأسلوب، دار الشروق، مصر، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٩٣.

انظر فى هذا الصدد:

Houyh, G. (١٩٦٩) **style and stylistics,** (London, Rout ledye and keyan paul) Gary. B. (١٩٦٩) **style, the problem and its solation** (The Hayae, Mouton) Youny. R. (١٩٨٠) Theme in Fictional Literature: A way into complexity, **lanyuaye and style** ١٣،٣ pp G١-٧١.

٢٢. عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، إتحاد الكُتّاب العرب دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م، الفصل الرابع، ص ٦٥.

٢٣. انظر كتاب اللغة والأسلوب لعدنان بن ذريل من منشورات إتحاد الكُتّاب العرب بدمشق ١٩٨٠

م حيث الشروح الوافية فى ذلک ويعرف (شوبنهاور) الأسلوب بأنه مظهر الفكر، فى حين (فلوبير) أنه هو وحده (طريقة مطلقة) لرؤية الأشياء ويقول (بيير و غيرو) أنّ الأسلوب للتعبير عن الفكر بواسطة اللغة.

۲۴. الزيات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة. القاهرة، لا.ت. ص ۵۴ وما بعدها.

۲۵. شلحت، فيكتور: النزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ، دار المشرق، بيروت، ۱۹۹۲م، ص ۲

۲۶. العسكرى، أبو هلال: الصناعتين، تحقيق: على محمد البجاوى ومحمد أبى الفضل إبرا مطبعة الحلبى، ط۱، ۱۹۵۲م، ص ۵۵ و ۵۶.

۲۷. المصدر السابق، ص ۶۴.

۲۸. الزيات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة، ص ۵۶.

۲۹. المرجع السابق، ص ۵۸.

۳۰. الجرجانى، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ۸۱ هـ / ۱۹۶۱م، ص ۳۵.

۳۱. المصدر السابق، ص ۳۵.

۳۲. المصدر السابق، ص ۳۸.

۳۳. الجرجانى، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، ص ۵۱.

۳۴. شلحت، فيكتور: النزْعة الكلامية عند الجاحظ، ص ۴۹.

۳۵. الجرجانى، عبدالقاهر: أسرار البلاغة، تحقيق هـ ـ ريتر، استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ۱۹۵۴م، ص ۲ ـ ۳.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٣٦. المصدر السابق، ص ٣.

٣٧. المصدر السابق، ص ۴.

٣٨. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ط ۴، بيروت، لا.ت، المجلد الأول، ص ١١٥.

٣٩. شلحت، فيكتور: النزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ، ص ٥١.

۴٠. المصدر السابق، ص ٥١.

۴١. أرسطو طاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبدالرحمن بدوى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٩۶.

۴٢. النحوى، عدنان على رضا: الأسلوب والأسلوبية، ص ٢٨٨.

۴٣. المرجع السابق، ص ٢٨٨.

۴۴. الأسلوب والأسلوبية، ص ٢٨٩.

۴٥. طه: ۴٣، ۴۴.

۴۶. الإسراء: ٢٣ ـ ٢۴.

۴٧. هو عبدالملك بن هشام، ولد فى البصرة وتوفى فى الفسطاط سنة (٢١٨هـ)، من مؤلفاته «السيرة النبوية».

۴٨. ابن هشام: السيرة النبوية، دار الكتاب العربى، بيروت ـ لبنان. ج٢، ص ۴٩٩، ٥٠٠.

۴٩. العک، الشيخ خالد عبدالرحمن، الفرقان والقرآن: الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، ط ٢، ١۴١۶ هـ / ١٩٩۶م، ص ١۶۴.

۵۰. المرجع السابق، ص ۱۶۵.

۵۱. المرجع السابق، ص ۱۶۵.

۵۲. العک: الفرقان والقرآن، ص۱۶۵.

۵۳. القیامة: ۳ ـ ۴.

۵۴. النازعات: ۳۰.

۵۵. المدثر: ۴۹ ـ ۵۱.

۵۶. الأعراف: ۴۰.

۵۷. قطب، سید: التصویر الفنی فی القرآن، دار الشروق، بیروت. لا.ت. ص ۳۴.

۵۸. الحج: ۱۱.

۵۹. المرجع السابق، ص ۴۰.

۶۰. الزمر: ۶۶ ـ ۷۵.

۶۱. قطب، محمد: دراسات قرآنیة، دار الشروق، القاهرة، ط ۷، ۱۴۱۴هـ / ۱۹۹۳م، ص ۲۵۴ ـ ۲۵۵.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

۶۲. المرجع السابق، ص ۲۵۵.